

بالفراغ وارتحى فكّه وصرخ بصوت لن أنساه: «أخرجاه من هنا! من أجل الله أخرجاه من هنا!» التفتنا سوياً إلى النافذة خلفنا حيث كان ينظروا رأينا وجهاً يتأملنا في الظلام. استطعنا رؤية الأتر الذي تركه أنفه حيث كان يلصقه على زجاج النافذة، كان الشعر يغطي وجهه، ذولحية، وعيناه تنمان عن شراسة وحقد وتكادان تنطقان بالكراهية. أسرعت وأحي نحو النافذة، لكن الرجل تمكّن من الهرب وحين عدنا إلى والدنا كان رأسه قد التوى جانباً وتوقف نبضه.

«في تلك الليلة بحثنا في الحديقة ولم نجد أي أثر للمتسلل سوى انه تحت النافذة في حوض الزهور كانت هناك آثار قدم واحدة. وأمام ضآلة ما وجدناه كدنا نعتقد ان الوجه الشرس والقاسي الذي رأيناه خلف النافذة كان من صنع خيالنا. لكننا ما لبثنا ان تأكدنا من وجود دليل آخر يتبّت ان هناك مجموعات سرية تعمل من حولنا وجدت نافذة غرفة والدي مفتوحة عند الصباح، وقد تم البحث في خزائنه وصناديقه، ووجدنا على صدره ورقة ألصقت بملابسه وقد كتب عليها بخط رديء. «عصابة الأربعة». ولم نعرف أبداً معنى العبارة ولا شخصية الزائر الغامض. وحسب معرفتنا فإن أيّاً من ممتلكات والدي لم يسرق، مع ان كل شيء كان على الأرض، وربطنا بالطبع بين هذه الحادثة وبين الخوف الذي عانى منه والدي خلال حياته، لكن الأمر لا يزال غامضاً تماماً بالنسبة إلينا».

توقف الرجل القصير القامة قليلاً ليعيد إشعال نارجيلته وأخذ ينفث الدخان وهو يفكر لبضع دقائق. كنا جميعاً نستمتع إليه بشغف مأخوذين بحكايته الغريبة. وعند ذكر حادثة موت والدها